# الصد عن سبيل الله في القرآن

دكتور/ شافي سلطان العجمـــي
عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة
جامعة الكويت

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

فإن حكمة الله البالغة اقتضت أن يتدافع الحق والباطل والخير والشر وذلك حين أنزل الله آدم عليه السلام إلى الأرض فقال له : " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ " [طه: ١٢٣ ]، ثم جرى التدافع بين نوح وقومه حتى ظهر الحق ثم تتابع الأنبياء على هذا السبيل حتى جاء نبي الله داود عليه السلام فتدافع مع جالوت فقتله وفي ذلك يقول تعالى : " **وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**" [البقرة:٢٥١] يقول الطبري في تفسير هذه الآية (٥ / ٣٧٢)

: يعني تعالى ذكره بذلك: ولولا أنّ الله يدفع ببعض الناس- وهم أهل الطاعة له والإيمان به - بعضًا، وهم أهلُ المعصية لله والشرك به- كما دفعَ عن المتخلِّفين عن طالوتَ بوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له ، وقد أعطاهم ما سألوا ربَّهم ابتداءً: من بَعْثةِ ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوتَ وجنوده "**لفسدت الأرض**"، يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض ولكن الله ذو منٍّ على خلقه وتطوُّلٍ عليهم، بدفعه بالبَرِّ من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر. ،:

ثم تدافع الناس حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فجرى بينه وبين قومه من التدافع ما قصه الله علينا ومن ذلك ما جاء في سورة الحج :

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠).

ومن أجل ذلك أردنا أن ندرس دفع الحق - وهو الصد عن سبيل الله - وسبل المواجهة لهؤلاء الصادين ، كل ذلك من خلال المنهج القرآني.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة و أربعة مباحث وخاتمة :

المقدمة وفيها أهمية الموضوع والمبحث الأول وفيه صفات الصادين عن سبيل الله

المبحث الثاني وفيه أنواع الصد عن سبيل الله

المبحث الثالث : وفيه أصناف الصادين عن سبيل الله

المبحث الرابع : وفيه مواجهة الصادين عن سبيل الله ثم الخاتمة وفيها أبرز النتائج .

## المبحث الأول

## صفات الصادين عن سبيل الله عز وجل

### أهمية التعرف على صفات الصادين عن سبيل الله:

١ ــ حتى يشهر أمرهم ويمكن التعرف عليهم ، لأن اختلاط المؤمنين بالصادين عن سبيل الله يجعل دعاواهم مقبولة ، وحديثهم مسموعا ، ولذلك قال تعالى: "**وفيكم سماعون لهم**"[التوبة :٤٧] والمقصود أن بيان الصادين يسحر القلوب والأسماع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **إن من البيان لسحرا** "(١).

ولما لم يكشف أمر المنافقين في أول الدعوة المدنية استطاع عبد الله بن أبي بن أبي سلول أن يرجع بثلث الجيش قبل غزوة أحد وكان من رجع معه يزيدون على المئتين(٢)، ولكن بعد نزول البيان في شأنهم انقسم المنافقون إلى قسمين في غزوة تبوك : قسم خرجوا مع المؤمنين ، وفيهم قال الله تعالى : ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب " والقسم الثاني اعتذروا عن الخروج للجهاد وفيهم قال الله تعالى : **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا الآية** [التوبة:٩٧] ولم يتجاوز عدد المنافقين في القسمين الخمسين .

٢ ــ لكي يحذر منهم ويتجنب أمرهم ، ولذلك قال الله تعالى عن المنافقين: **هم العدو فاحذرهم** " [المنافقون:٤] والحذر من الصادين عن سبيل الله عامة ومن المنافقين خاصة من مقاصد الشرع ، لأن الحذر من العدو حكمة ، قال الله تعالى : **يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم** "[النساء: ٧١] ولأن الاسترسال والاطمئنان مع ما يوجب الخوف يقتضي الإهمال والتفريط في الثبات على الأصول، وربما توصل العدو إلى التلبس بلباس المؤمنين والتحدث بخطابهم لنشر باطله.

٣ ــ حتى لا يتشبه بهم ولا يتحلى بصفاتهم ، وهذا أصل مقرر من أصول الشرع الحكيم ، وهو أن أهل الحق يجب أن ينفصلوا عن أهل الباطل بالقلوب

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الخطبة ، رقم الحديث٥١٤٦

(٢) انظر سيرة ابن إسحاق (٣٠٤/٣)

والأبدان والأقوال والأفعال ، أما القلوب فيقصد به البراءة منهم وعدم موالاتهم كما قال الله تعالى: "**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**" [الممتحنة:١] وأما الأبدان فيراد به الهجرة من الأرض التي لا تقام فيها شعائر الله ويخاف المؤمن من إظهار شعائر دينه كما قال تعالى : "**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**" [النساء:٩٧] وأما المفارقة بالأقوال والأفعال فمعناها عدم التشبه بهم فيما كان من خصائصهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **من تشبه بقوم فهو منهم** "(١) ولذلك وردت مخالفة اليهود والنصارى في أشياء كثيرة في الوضوء والصلاة والصيام والنكاح والطلاق والأطعمة وغيرها ، كما فصل ذلك ابن تيمية في كتابه الموسوم باقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم (٢)، والمقصود أن معرفة صفات الصادين عن سبيل الله تمنع التشبه بهم وبصفاتهم .

٤ ــ للمقارنة بين صفاتهم وصفات غيرهم وقد قال الأول:

" وبضدها تتميز الأشياء " ، و"الضد بعرف حسنه بالضـــــــــد"

و"عرفت الشر لا للشر لتوقيه ومن لم يعرف الشر من لخير يقع فيه"

ولذلك كثرت المقارنات في القرآن بين أتباع الأنبياء وأعدائهم ، والتوحيد والشرك والجنة والنار والحسنات والسيئات والحق والباطل والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض وغير ذلك .

وعند المقارنة بين صفات الصادين والمؤمنين يظهر الفرق العظيم والبون الشاسع بينهما، من أجل أن يتبين لكل أحد أهل الحق وأهل الباطل .

**المطلب الأول: أقوال الصادّين عن سبيل الله عز وجل**

بدأنا بذكر أقوال الصادين لأن معرفـــة ذلـــك توضـــح أمـــرهم وتبـــين مقصودهم وهي أكثر ما ورد في القرآن ، أما الأفعال فهي لـــم تكـــن ظـــاهرة

---

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب اللباس ،باب الشهرة برقم الحديث ٤٠٣٣

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم(١/٦٠)

كالأقوال ، وتدور أقوالهم حول الكذب والأمر بالباطل كالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

**ـ المسألة الأولى: الكذب:**

تدور عبارات أهل العلم في تعريف الكذب حول مخالفة الحال للمقال [1]، وهذا يشمل المخالفة القولية والفعلية وقد جمع الكذب بنوعيه القولي والفعلي في قوله تعالى :"**يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤوا على قميصه بدم كذب الآية**". [يوسف: ١٨]

وأسباب الكذب عند الناس كثيرة منها :

١- اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم.

٢- أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبا وكلامه مستظرفا.

٣- أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه.

٤- الترؤس والزعامة والتفرد في الحكم .

٥- ومن أعظم أسباب ذلك أيضا التكذيب ولا سيما عند الصادين عن سبيل الله لأن الكذب متفرع من التكذيب، وقد جمع الله بينها في قوله: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}** [الأعراف: ٣٧]، وقوله: **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ}** [الزمر:٣٢] ولكن هؤلاء لا يصدقون إلا لتحقيق مصالحهم الدنيوية، أما الكذب فهو دأبهم، وسبب آخر للكذب عندهم وهو الخداع والاستخفاف بعقول الناس لأنه يتمُّ من خلال الكذب لا الصدق. قال تعالى: **{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}** [الزخرف: ٥٤] وقد كانت شواهد الكذب عندهم تظهر في ثلاثة مواطن[2]:

---

(١) انظر في تعريف الكذب : التعريفات للجرجاني ١٨٣وفتح الباري لابن حجر(٦/٢٤٢)والكليات للكفوي٥٥٦وتهذيب الأخلاق للجاحظ٣٢

(٢) وهذا بالتتبع والاستقراء للقرآن .

ـ **الموطن الأول: الكذب على الله ورسله:**

والكذب على الله ورسله أغلظ أنواع الكذب وأقبحها وأشدها إثما ، لأن التحقق من صحة كلام هذا الكاذب متعذرة على الجاهل ، وتورث التلبيس والتشكيك في الحق كما كان حال اليهود مع الناس ، وقد عده أهل العلم من الكبائر لقوله تعالى : " **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** "[الأعراف :٣٣]

والكذب على الله قرين التكذيب كما قال تعالى : **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته**"[الأعراف:٣٦] وقال تعالى : " **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** " [العنكبوت:٦٨]

ووجه اقتران التكذيب بالكذب أن الثاني وسيلة الأول وذلك أن الذي يكذب بالحق يفتري الباطل وهما متلازمان ، لأن التكذيب بالحق عمل القلب وافتراء الباطل عمل اللسان ، قال تعالى : " **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** " [النحل :١٠٥]

وأكثر من وصفهم الله بالكذب هم أهل الكتاب كقوله تعالى : " **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الكذب وهم يعلمون** " [آل عمران:٧٥] وقوله : " **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**"[آل عمران:٧٨] ثم يتلوهم المشركون، وقد وصفهم الله بالكذب في مواطن :

**الأول** : حين جعلوا الأصنام آلهة من دون الله ، وهذا في قوله : " **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**"[الكهف:١٦] **والثاني** : تحريمهم ما أحل الله وتحليلهم

حرم الله ، كقوله : " **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ثم قال :فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**"[الأنعام:١٤٤]

**والثالث:** الكذب على الله في اثبات الجنة للكفار، كقوله : " **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى** " [النحل :٦٢]

**والرابع:** الكذب في دعوى تحمل أوزار المدعوين ، وقد سبق ذكر ذلك.

ثم يأتي بعد المشركين المنافقون، ومواطن الكذب عندهم كثيرة ، كالكذب في العهود في قوله : " **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ثم قال فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**"[التوبة : ٧٥-٧٧] وهم يكذبون في أيمانهم كما قال تعالى :"**وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون**"[التوبة : ١٠٧ ] .

وبعد هذا ندرك خطر الكذب وذمه لأنه يفسد العلم والعمل وفي ذلك يقول ابن القيم : "

إياك والكذب فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه ، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس" ، ثم قال :" فإن الكاذب يصور المعدوم موجودا والموجود معدوما ، والحق باطلا والباطل حقا ، والخير شرا والشر خيرا ، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له ، ثم يصور ذلك في نفس المخاطب" ، ثم يقول : " ولهذا كان الكذب أساس الفجور" . ثم بين ذلك فقال : "أول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده ، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها ، فيعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله ، فيستحكم عليه الفساد ويترامى داؤه إلى الهلكة" (١)

---

(١) انظر : الفوائد ١٨٧

قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ} [الأنعام: ١٤٤]

فالجملة الكريمة تبكتهم غاية التبكيت على جهالاتهم وافترائهم الكذب على الله ، والاستفهام فى قوله – تعالى – { **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً لِيُضِلَّ الناس بِغَيْرِ عِلْمٍ** } للنفى والإنكار [(١)].وظاهر الآية أن الكذب على الله أعظم الذنوب لأنه شجرة الشرك التي تفرع عنها كل ذنب .

**المثال الأول:** قال تعالى: {**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**} [سورة المنافقين: ١]

ونلاحظ أن المنافقين يبالغون في الدعاوى لإثبات أقوالهم فيقولون " نشهد " ولا يستحون من الله ولا من الناس ، وقد استمرؤوا الكذب حتى صار ملازما لهم ، فكلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ذلك لدلالة " إذا " الشرطية على ذلك .

**المثال الثاني:** قال تعالى: {**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [سورة آل عمران :٧٥].

وهذا بيان لما كان عليه اليهود من صد الناس عن سبيل الله والكذب على الله تبريرا لخيانتهم الأمانة واستباحة لأموال غير اليهود .

**المثال الثالث:** قال تعالى في المائدة: {**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**} [المائدة:١٨].

وقد كان هذا من صفات أهل الكتاب الملازمة لهم ، وهي الاغترار بالنفس والغلو فيها ، ولزم من ذلك احتقار الناس من غير أهل الكتاب ، وهم يتكئون في كل ذلك على الكذب على الله والتلبيس على الناس ، وقد رد الله عليهم أحسن الرد فقال :" **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** ".

---

(١) تفسير سيد طنطاوي(١/١٥٥٣)

ـ الموطن الثاني: الكذب على المؤمنين:

**المثال الأول:** قال تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ}[التوبة: ٦٢].

يعني أنهم يعظمون رضى الناس على رضى الله وهذا من علامات المقت والغضب كما ثبت في سنن الترمذي عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الْوَرْدِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ** (١).

**المثال الثاني:** قال تعالى: {**لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ**} [التوبة: ٨١]

وظاهر هذا الخطاب الرحمة والخوف على المجاهدين من الحر، ولكن باطنه انصدٌ عن سبيل الله والتثبيط عن الجهاد.

**المثال الثالث:** قال تعالى: {**إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا**} [طه: ٦٣]

ـ الموطن الثالث: الكذب على الناس:

**والمقصود** بهم كافة الناس من غير المؤمنين ، وذلك لئلا يصدق الناس الأنبياء ويحسنوا الظن بأقوالهم وأفعالهم، وكان الذي يتولى كبر الأمر وعظمه الملأ الذين تصدروا بين أقوامهم ، إما بالرياسة أو المال أو بالجمع بينهما ، وكانت لهم طرق في الكذب على الناس فتارة يطعنون في صدق الأنبياء ، وتارة بالطعن في مقاصدهم، وتارة بالطعن في عقولهم، وتارة بإظهار الحرص على مصالح الشعب وذلك كقول فرعون : " **إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** " [غافر:٢٦] ، وستأتي إن شاء الله أمثلة لذلك كله في أنواع الصدٌ عن سبيل الله.

---

(١) رواه الترمذي في سننه .كتاب الزهد .باب حفظ اللسان.رقم الحديث٢٤١٤وصححه ابن حبان مرفوعا برقم ٢٧٦.

ـ المسألة الثانية: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

وهذه من أخصِّ صفات الصادِّين عن سبيل الله ، ووسيلتهم هذه من أخطر الطرق في الصد عن سبيل الله ، لأنها تجعل المعروف منكرا والمنكر معروفا والحق باطلا والباطل حقا ، وتثير الشك والريبة عند الناس في كون هذا الأمر مشروعا ، وقد وردت في القرآن صفة للمنافقين فقال تعالى في: "**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**"[التوبة:٦٧] ، ونلاحظ التلازم بين قبض اليد ونسيان الله والفسق لأنها تشترك في الإعراض عن الرب وانتكاس القلب عن الحق .

وشواهد الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف عند المنافقين والكافرين كثيرة ، وهذه أمثلة على الأمر بالمنكر:

**المثال الأول:** قال تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ**} [العنكبوت: ١٢]

ومقصودهم بذلك ترك الإسلام واتباع سبيل المجرمين ، والرشوة في ذلك أن يتحمل الصادون عن سبيل الله أوزار المدعوين ، ومن تأمل هذا الثمن الرخيص تبين له خسارته ، لأن الصادين أقروا على أنفسهم بأن اتباعهم وزر من الأوزار، وقد قيلت هذه الفرية في موضع آخر من سورة النجم : " **أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى** "[1]

**المثال الثاني:** قال تعالى: {**أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ**} [الأعراف: ٨٢] .

وهذا تآمر على الإثم والعدوان بطرد أطهر الخلق وأزكاهم ، والأمر بنفي الرسل مخالف للحق والعرف والعقل ، أما الحق فظاهر وأما العرف فليس هناك عرف متبع بطرد المخالفين لآراء الملأ وما زال الناس يختلفون ولا يطرد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤٦٣/٧ )وتفسير الطبري(٥٤١/٢٢)

بعضهم بعضا ، وأما مخالفته للعقل فيقال : كيف يطرد غير المالك المالك ، وذلك أن الصادين عن سبيل لا يملكون إلا بيوتهم ومزارعهم وتجاراتهم ، ولا يملكون بيوت الآخرين حتى يطردوهم منها ، فكيف يخولون لأنفسهم التصرف في ملك الغير دون إذن أو توكيل ، ولكن هذا هو شأن الباطل لا يقيم وزنا لدين أو عقل أو عرف .

**المثال الثالث:** قال تعالى: **{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى}** [طه: ٦٤].وهذا قاله بعض السحرة لبعضهم تآمرا على الباطل وتعاونا على الإثم والعدوان[١] .

وأما النهي عن المعروف فهو أكثر، ومن ذلك:

**المثال الأول:** قال تعالى: **{لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ}** [التوبة: ٨١][٢].

وظاهر خطابهم خشية التأذي بالحر وأنهم ينفرون إذا كان الأمر في غير الحر ، وهم لم يقولوا لن ننفر أو لا تنفروا، لأن هذا الأمر يفضحهم ويكشف عوارهم ولكنهم أتوا بعذر ينطلي على بعض الناس .

**المثال الثاني:** قال تعالى: **{لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ}** [الشعراء: ١١٦]

وهذه سنة متبعة عند أعداء الرسل وهي التهديد بالطرد ، فقد قال والد إبراهيم : " **واهجرني مليا** "[مريم:٤٦ ] وقال قوم لوط : " **أخرجوهم من قريتكم** "[الأعراف:٨٢] وقال الله عن أهل مكة : " **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يخرجوك أو يقتلوك** "[الأنفال:٣٠]، وهي وسيلة العاجز عن الحجة والبرهان .

**المثال الثالث:** قال تعالى: **{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى}** [العلق: ١٠].

---

(١) انظر تفسير البغوي (٢٨٢/٥)

(٢) انظر تفسير سيد طنطاوي(٢٠١٢/١)

وقصة هذه الآية في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ. فَقَالَ وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِى التُّرَابِ - قَالَ - فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يُصَلِّى زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ - قَالَ - فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِى بِيَدَيْهِ - قَالَ - فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « **لَوْ دَنَا مِنِّى لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا** ». قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لاَ نَدْرِى فِى حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ أَوْ شَىْءٌ بَلَغَهُ **(كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)** - يَعْنِى أَبَا جَهْلٍ - **(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ)** "[1]

**المطلب الثاني: أفعال الصادِّين عن سبيل الله عز وجل**

- **المسألة الأولى: الأفعال القلبية:**
- وهي مصدر أعمال الجوارح ومنبعها حسا ومعنى ، ذلك أن القلب هو المحرك الحقيقي للدم في الأعضاء، وهو الآمر على الجوارح كما جاء في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد طله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[2].ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: القلب ملك الجوارح فإن صلح الملك صلحت الأعضاء.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.كتاب الجنة والنار.باب إن الإنسان ليطغى .رقم الحديث : ٧٢٤٣ . ورواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس باختصارفي كتاب التفسير.باب"كلا لإن لم ينته لنسفعن بالناصية".رقم الحديث٤٩٥٨

(٢) رواه البخاري في صحيحه .كتاب الإيمان.باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه.رقم الحديث٥٢،ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة .باب أخذ الحلال وترك الشبهات.رقم الحديث١٥٩٩

وليس هناك انفكاك بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب. وهما متلازمان كتلازم الشمس للنهار ، وسبيل معرفة الأعمال القلبية ما يظهر على اللسان أو بقية الأعضاء، وقد أخبرنا الله عن صفات قلبية مستقرة في صدور الصادين عن سبيل الله ومن ذلك :

**ـ الصفة الأولى : محبة الكفر لأتباع الأنبياء:**

وهذه المحبة لها دلائل تكشفها وتدل عليها :

منها الفرح باللسان بضلال أتباع الأنبياء والحزن عند زيادتهم وظهورهم وغلبتهم .

ومنها الأمر بالكفر كقوله تعالى : " **اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم** " [العنكبوت: ١٢]

ومنها إثارة الشكوك والأسئلة حول الأصول. وفي الجملة فإن الصادين عن سبيل الله عز وجل يتمنون إطفاء نور الله بكل وسيلة، كما قال تعالى:"**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** " [ التوبة: ٣٢ ]

وقد وقفنا على أمثلة تدل على وجود هذه الصفة في اليهود والمنافقين وهم من الصادين عن سبيل الله :

**المثال الأول:** قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ**} [النساء : ٤٤ ].

والسبب في هذه المحبة عند أهل الكتاب التفرد في الأمر والثبات على الحكم ، وذلك أن أهل الكتاب كانوا على منزلة عالية عند أهل المدينة[١] ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت تلك المنزلة فحسدوا وتمنوا الكفر لأهل المدينة حتى تعود المرجعية لهم .

---

(١) ولذلك كانوا يرسلون أولادهم للتعلم منهم كما جاء في سبب نزول قوله تعالى:"لا إكراه في الدين"[البقرة:٢٥٦]انظر(تفسير الطبري ٤٠٧/٥)وتفسير ابن كثير(٦٨١/١)

ونلاحظ أمرا آخر وهو اقتران الأمرين عند أهل الكتاب وهما اشتراء الضلالة وإرادة الإضلال ، وسبب ذلك يجتمع مع ما سبق ذكره وهو الانتفاع من كفر أهل المدينة بالترؤس عليهم.

**المثال الثاني :** قال تعالى في: **{وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء}** [ النساء :٨٩ ].

وسبب التعبير بالود في الحديث عن المنافقين دون الإرادة لأن ود المنافقين لا يحصل من ورائه عمل ، لأنهم يرون حرص المؤمنين على دينهم ، أما إرادة المؤمنين-فإن من ورائها العمل [١]

**المثال الثالث:** قال تعالى : **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ}** [التوبة:١٠٧ ].

وهذا من مكر المنافقين حيث استغلوا انشغال المسلمين في غزوة تبوك ، وراحوا يبنون مسجدا يفرق بين المسلمين ويشككهم في دينهم [٢]

**ـ الصفة الثانية: الإصرار على الباطل:**

الإصرار : أصله[٣] من الشد والعزم ومنه صر الدراهم والريح الصرصر ، والإصرار على الشيء لزومه والمداومة عليه ، وأكثر ما يستعمل في الباطل . ومنه المعاندة ولكنها تفارق الإصرار في الإباء الكبر ، فالمصر قاصر على نفسه ، والمعاند متعد إلى غيره .

وقد مدح الله ترك الإصرار في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : " **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** "[آل عمران: ١٣٥]، وذم

---

(١) انظر في ذلك تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٤/٧٠)

(٢)انظر تفسير الطبري (١٤/٤٦٩)وتفسير ابن أبي حاتم(٧/٤٠٨)

(٣) مقاييس اللغة (٣/٢٨٢)والمفردات للأصفهاني ٢٧٩والصحاح(٢/٧١٢)ولسان العرب(٤/٤٥٠)والنهاية لابن الأثير(٣/٢٢).

الله الإصرار في ثلاث آيات وهي قوله: " **ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم**"[الجاثية:٧ ] ، وقوله : " **وكانوا يصرون على الحنث العظيم** "[الواقعة: ٤٦ ] ، وقوله: " **واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا**" [نوح:٧]

والإصرار على الباطل من أخص أوصاف الصادين عن الحق ، لأنهم يعلمون بطلان ما هم فيه ولكنهم يصرون ، كما قال تعالى : " **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا** " [النمل:١٤ ] . وقد كان هذا الوصف لصيقا بأهل الكتاب والمشركين والمنافقين :

**المثال الأول:** قال تعالى {**وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌ، وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ**} [القمر: ٢].

وهذا من أعجب العجب ، لأن أهل مكة كانوا يعيرون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يأتهم بآية كما أرسل الأولون ، ثم سألوه أن يشق لهم القمر[١]، فلما انشق القمر قالوا سحرنا محمد ، فقال بعضهم لئن كان سحرانا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم[٢]. **المثال الثاني:** قال تعالى في الأعراف: {**مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**} [الأعراف: ١٣٢]

---

(١) روى الرمذي من حديث أنس بن مالك سأل أهل مكة النبي آية فانشق القمر بمكة"كتاب التفسير .باب سورة القمر ، رقم الحديث ٣٢٨٦ . وقصة انشقاق القمر في صحيح البخاري في كتاب التفسير باب "وانشق القمر رقم الحديث ٤٨٦٤ ، ورواها مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر رقم الحديث ٢٨٠٠ وقد اقتصرت الروايتان على ذكر الانشقاق فقط دون بقية القصة .

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير باب سورة القمر من حديث جبير بن مطعم.رقم الحديث٣٢٨٩ . وفي دلائل النبوة للبيهقي

وهذا يدل على أن التعنت قد بلغ مبلغه، وأن الأمر لا يحتاج إلى براهين وأن كل دليل يأتي به الأنبياء فهو سحر.

**المثال الثالث:** قال تعالى: **{قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ}** [الشعراء: ١٣٦].

وهذا إعلان عام لنشر اليأس في قلوب الأنبياء ، وطرد الرجاء والأمل ، ومع ذلك فلم ييأس الأنبياء وأتباعهم من دعوة غيرهم.

**ـ الصفة الثالثة: الجبن:**

أصل معنى الجبن الضعف[١]، وعلامته الجزع عند المخاوف والاضطراب عند المواجهة القوية ، ويفارق الخوف الجبن في أشياء : منها أن الجبن مذموم والخوف منه ما هو مذموم ومنه ما هو ممدوح ، ومنها أن الجبن خوف مقرون بجزع ، ومنها أن الخوف منه ما هو طبيعي كالخوف من النار ومنه ما هو غير طبيعي كالجبن ، وعلى ذلك فالجبن نوع من أنواع الخوف ، وضد الجبن الشجاعة وضد الخوف الأمن ، ولابد في الجبن من انكسار عند المواجهة ، ولا يلزم ذلك في الخوف .

وقد ذمه الله في كتابه حين عير المنافقين بتخلفهم عن غزوة تبوك وموقفهم من غزوة الأحزاب[٢] ، والخوف والجبن نقص في بني آدم ، وقد نفى الله ذلك عن نفسه فقال :" **ولا يخاف عقباها** " [الشمس:١٥ ] .

وهذه الصفة متفرعة عن حبِّ الدنيا ، فكلما تعلق المرء بالدنيا خاف من تركها ، ولذلك ترى الجهاد يطرد الجبن لأنه يزهد في الدنيا ويرخصها في أعين المجاهدين .

---

= " فقالت كفار قريش: هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة ، فانظروا إلى السفار، فإن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق، قال : فما قدم عليهم أحد إلا أخبرهم بذلك"(٢/٢٦٠)

(١)انظر : تهذيب الأخلاق للجاحظ٣٣، وبصائر ذوي التمييزللفيروزآبادي(١/٣٦٦)، والتعريفات للجرجاني٧٣.

(٢) سورة التوبة:٥٦، وسورة الأحزاب:١٣

وهو صفة ذميمة مكروهة في أحاديث، منها : (**شر ما في الرجل جبن خالع أو شحٌ هالع**). [(١)]

ومنها: (اللهم إني أعوذ بك من الجبن..) الحديث [(٢)].

والخوف والجبن المذموم هو الذي يضيع الحقوق ويفرط في الواجبات، أما الطبيعي فلا جناح على صاحبه ، وقد ورد في القرآن صفة ملازمة للصادين عن سبيل الله .

**المثال الأول:** قال تعالى: {**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ**} [الأحزاب: ١٩]

والمقصود بهؤلاء هم المنافقون الذين كانوا يرجفون بالمؤمنين أثناء غزوة الأحزاب[(٣)].

**المثال الثاني:** قال تعالى : {**وَلَـكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ، لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**} [التوبة: ٥٦ ــ ٥٧][(٤)].

وهذا فضح لما كان يختلج في صدور المنافقين أيام غزوة تبوك من الهلع والجزع خشية فراق الدنيا .

**المثال الثالث:** قال تعالى : {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**} [آل عمران: ١٧٥]

وهذه أبلغ آية في التحذير من الخوف الباطل الذي يترتب عليه ترك الحق مثل التولي يوم الزحف والتخلف عن نصرة الله ورسوله ، ووجه ذلك أن الله علق الإيمان على عدم خوفهم ، ومفهوم المخالفة أن من خافهم فليس بمؤمن ، والمراد بذلك تشبيه خوفهم بالخوف من الله ، وهذا لا يكون من المؤمن .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/٣٠٢) رقم الحديث٧٩٩٧وصححه ابن حبان(٣٢٥٠)

(٢) رواه البخاري في صحيحه ،كتاب الجهاد ، باب ما يتعوذ من الجبن،رقم الحديث٢٨٢٢ .

(٣) انظر التسهيل لابن جزي(٢/٣٦١)وتفسير الرازي(٢٥/١٦٣)

(٤) انظر تفسير الرازي(١٦/٧٥)

**ـ الصفة الرابعة: البخل:**

البخل هو منع الحق عن أهله سواء كان الحق ماليا أو غير مالي ، وهذا يشمل البخل بالمال والبخل بالسلام والبخل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والبخل بالجاه والبخل بالعلم ، وقد جمع الله بين البخلين المالي وغيره في موطن واحد فقال تعالى : " **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا أليما** "[النساء:٣٧]

وعلاقة البخل بالصادين عن سبيل الله من وجوه :

**أولها** :أن البخيل يكره المنفقين في سبيل الله لأنهم يظهرون عواره ، وكذلك من صد عن سبيل الله يكره النفقة والمنفقين ، ولا يحب حديثهم ولا رؤية الصدقة ، وهذا أمر واقع .

**ثانيها** : أن البخيل يخاف على أمواله أن تصرف في سبيل الله الذي يكرهه ، ولذلك تراه يصد عن سبيل الله حفاظا على أمواله .

**ثالثها** : أن الصادين عن سبيل الله يكون غالبهم من الملأ من أصحاب الأموال والرياسات ، وهؤلاء يكرهون التشريعات المقيدة لتصرفاتهم ، لأنهم يحبون أن يتصرفوا في أموالهم تصرفا مطلقا .

ومن تأمل البخل وجده نابعا من حب الدنيا ، لأن المال وسيلة التمتع بالدنيا ، ومن لا مال له لا متعة له . والغريب في الأمر أن نفوس هؤلاء الصادين تطيب عند النفقة في سبيل الصد عن الله ، وتشح نفوسهم عند النفقة في الحق ، كما قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ**} [الأنفال: ٣٦] ، مع النفقة الصادة عن سبيل الله لا متعة حسية فيها إلا إطفاء نار الحقد وإرواء الغليل .

**المثال الأول:** قال تعالى : {**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**} [التوبة: ٦٧][١]

وعلاقة النفاق بالبخل ظاهرة لأن المنافق يكره الحق والنفقة في الحق .

ولم يتوقف الأمر عند البخل عندهم بل تعدى ذلك إلى النهي عن النفقة : {**لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا**} [المنافقون: ٧][٢].

بل إنهم استهزؤوا بالمنفقين: {**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ**} [التوبة: ٧٩][٣].

**المثال الثاني:** قال تعالى في النساء: {**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**} [النساء: ٣٧][٤]

وهذا دليل على اشتراك اليهود و المنافقين في الكفر ، ويزيد اليهود عليهم أمرا آخر وهو كتمان الحق والتزوير فيه

**المثال الثالث:** قال تعالى: {**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**} [الحديد: ٢٤].

---

(١) يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير(٤٠٦/٦):" وقبض الأيدي : كناية عن الشحّ ، وهو وصف ذمّ لدلالته على القسوة ، لأنّ المراد الشحّ على الفقراء ".

(٢) يقول ابن كثير في تفسيره(١٢٧/٨): "وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي بن سلول"

(٣) قال البغوي في تفسيره(٧٩/٤):"تصدّق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسْق من تمر. وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحباب بصاع من تمر، وقال: يا رسول الله بتُّ ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نِلْتُ صاعين من تمر فأمسكتُ أحدهما لأهلي وأتيتُك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقة، فلمزهم المنافقون، فقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياءً، وإن الله ورسوله لغنيّان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أراد أن يُذكِّر بنفسه ليعطى من الصدقة،فنزلت الآيات".

(٤) يقول ابن كثيرفي تفسيره(٣٠٣/٢):"وقد حمل بعضُ السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم، من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك"

ـ الصفة الخامسة: الحسد:

وهو خلق الشيطان وداء ابن آدم حين قتل أخاه ومرض القرى حين جاءها المرسلون. وأشهر من حسن هم اليهود حين أرادوا نبيًا من سلالة إسحاق فجاء الأمر على خلاف ما يشتهون، بل إن الحسد داء المم قبلنا كما ثبت في سنن ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال **(ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على الأذان والتأمين)**. (١)

والحسد كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه (٢)

**وأسباب الحسد عند هؤلاء الصادين تدور حول ما يأتي :**

١- بغض المحسود وكراهيته فيبغض حصول النعمة له ثم يتمنى زوالها .

٢- أن يظهر للمحسود فضل يعجز عنه الحاسد فيكره تقدمه فيه واختصاصه به ، وهذه قد حصلت من أبي جهل عن سئل عن عداوته لمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال : لقد كنا نحن وبنو عبد مناف كفرسي رهان حتى قالوا منا نبي.السيرة لابن إسحاق ص.

٣- أن يكون الحاسد أسود القلب ضيق الصدر فيكره الفضائل وينفر منها فإذا رآها في المحسود اشتعلت نار الحسد في قلبه .

وقد ذكر أهل العلم أدوية كثيرة للحسد تعين على توقي شره ، وأوصلها ابن القيم إلى عشرة أسباب: (٣)

والآيات الواردة في الحسد كانت في أهل الكتاب فقط لعظيم حسدهم وعداوتهم للمسلمين،

---

(١) رواه ابن ماجة في السنن في كتاب الصلاة .باب الجهر بأمين.رقم الحديث٨٥٦

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ٨٧وتهذيب الأخلاق للجاحظ٣٤وأدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠ والكليات للكفوي ٤٠٧

(٣) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي(٣٣٣/١) وبدائع الفوائد لابن القيم(٣٤٦/٣).

**المثال الأول:** قال تعالى: {**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**} [البقرة: ١٠٩].

وسبب الحسد عند أهل الكتاب محبة استئثارهم بالنبوة والوحي دون غيرهم ، فلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا .

**المثال الثاني:** قال تعالى : {**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**} [النساء: ٥٤]

وهذا يدل أن الحاسد يعارض قضاء الله ويكرهه ، ويريد أن يمنع فضل الله وكأنه القاسم بين الناس ، أو العالم بما ينفعهم ،ولسان الحاسد يقول أنا أولى من هذا المنعم عليه .

**ـ الصفة السادسة: الكبر:**

الكبر استعظام النفس سواء تكبر على الناس أو على الحق [١].

ولذلك ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **الكبر بطر الحق وغمط الناس** "[٢] .

وبذلك يفترق الكبر عن العجب فإن العجب استعظام النفس وإن اقترن بذلك احتقار الناس أو الحق فهو كبر[٣] ، والكبر خلق الشيطان وأعداء الرسل من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين ، فأما اليهود ففي قوله تعالى : " **أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** "[ وأما المشركون ففي قوله تعالى : " **قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا** " وأما المنافقون ففي قوله تعالى : " **رأيتهم يصدون وهم مستكبرون**"

---

(١)انظر :الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/٣٤٥)والتهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون(٣/١٢٤٧)وتهذيب الأخلاق للجاحظ٣٢.

(٢)رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ،رقم الحديث ٩١.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي(١/٢٩١).

وهذا داء الملأ الذين حالوا بين الناس وبين الإيمان، وظنوا أن اتِّباع الأنبياء سيفقدهم الزعامة التي حصلوا عليها وتوهموا أن قبولهم باتباع الرسل فيه مهانة واحتقار لهم وإنقاصٌ من قدرهم، ولذلك نجد القرآن يؤكد هذا الداء ويكرره كثيرا لأن الصادين عن سبيل الله يقولون للناس ما رأينا حقا عند الرسل وما عندهم إلا السحر ، وما علم الناس أن الذي صد هؤلاء عن اتباع الأنبياء هو الكبر ، وقد ورد ذكر هذا في مواضع من القرآن ومن ذلك :

**المثال الأول:** قال تعالى : **{وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ}** [هود: ٢٧]

ومن تأمل في الخطاب رأى الكبر والغرور والاستعلاء على الضعفاء ووصفهم بالأراذل وأراذل الشيء أحقره وما لا يلتفت إليه ، ثم ختموا حديثهم بأن أتباع الأنبياء لم يأخذوا أمرهم بالروية والتؤدة وإنما استعجلوا فيه وبدا لهم أولا فركبوه، وهذا اتهام بالسذاجة والحماقة والعجلة .

**المثال الثاني:** قال تعالى : **{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ}** [غافر: ٥٦]

وهذا أصل لكل من يجادل في الحق : أن من جادل بغير برهان بين فإنما دافعه الهوى والكبر ، وتأمل تعبير القرآن " **ما هم ببالغيه** " ليظهر الإعجاز الغيبي ، وهو أن ما يريدون الوصول إليه لن يقع [1]، والمقصود بذلك إظهار رأيهم وغلبته على الحق ، وهذا لم يحصل ولن يحصل.

**المثال الثالث:** قال تعالى : **{أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}** [البقرة: ٨٧].

---

(١) نقل البغوي في تفسيره (١٥٣/٧) عن مجاهد قوله : ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم.وقال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك.

ونلاحظ عبارة القرآن " **أفكلما** " الدالة على الاستمرار والمداومة ، وذلك أن هؤلاء لا يبحثون عن الحق أو يطلبون الدين ، وإنما يبغون علوا في الأرض ، ولذلك نجد أن هؤلاء حين جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم بادروا بتكذيبه أو قتله ، فأما تكذيبه فباطل لأنهم لم يدفعوا الحجة بالحجة ، وأما قتلهم فأبطل منه إذ كيف يستحلون دم امرئ منهم بغير حق .

وبعد هذا فإن هؤلاء الصادين ينظرون إلى الأنبياء وأتباعهم بمثل ما يعرفون من أنفسهم ، فيظنون أن هؤلاء يريدون العلو والكبرياء في الأرض كما قال تعالى : **{قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ}** [يونس: ٧٨].

- **المسألة الثانية: الأفعال الظاهرة:**
- والمقصود بها أفعال الجوارح التي يفعلونها بالناس ، وهي نتيجة طبيعية لما قام في قلوبهم من البغض للحق وأهله ، ومما يستغرب أن أفعال الصادين عن سبيل الله لا تصلح لمن أراد أن يقود الناس أو يواجه أعداءه ، لأنها تنفر الناس ولا تقربهم وتفرقهم ولا تجمعهم ، ذلك أن أكل أموال الناس بالباطل ونقض العهود والإسراف من أبغض الصفات للناس، ولا تجد أحدا تولى رئاسة قومه وفيه هذه الصفات أو بعضها ، ولكن العين تعمى والقلب يطمس فلا يبصر الداء ولا يهتدي للدواء .

**ـ الصفة الأولى: أكل أموال الناس بالباطل:**

لقد فطر الله الناس على حب المال كما قال تعالى: "**وإنه لحب الخير لشديد**" [العاديات:٨]، وقال تعالى : "**وتحبون المال حبا جما**" [الفجر:٢٠] ، وقال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : " **لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب** "[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .كتاب الزهد والرقاق.باب ما يتقى من زينة الدنيا.رقم الحديث٦٠٧٢ورواه مسلم في صحيحه .كتاب الزكاة.باب لو كان لابن واديان من ذهب رقم الحديث١٠٤٩

من أجل هذه المحبة الشديدة يتنازع الناس حول المال ما لا يتنازعون على غيره، وقد جبل الناس على كره من أخذ أموالهم بغير حق ، ولكن أهل الباطل ولا سيما الصادين عن سبيل الله يبررون للناس أخذهم للأموال ويشرعونها لهم حتى تطيب أنفسهم ببذل أموالهم، ولذلك نجد القرآن يقرر أن ما يفعله هؤلاء ليس إلا أكلا لأموال الناس بالباطل .

وقد كانت نواع أكلهم للأموال متعددة ،فمن ذلك الربا وهو أفحش الأكل لأموال الناس ، ومن ذلك الميسر والرشوة والغش في البيع والغرر ونحو ذلك.

وأكثر من ورد عنهم هذا الأمر اليهود لما كانوا يفعلونه من تحريف التوراة والكذب على الناس فيها كما قال تعالى: " **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**"[البقرة:٧٩].

وورد في صحيح البخاري ما يدل على أن بعض المشركين يشاركون أهل الكتاب في هذه الصفة كما قال خباب بن الأرت رضي الله عنه : **كنت قينا في الجاهلية وكان لي على العاص ابن وائل دين فأتيته أتقاضاه قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه و سلم . فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث . قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك . فنزلت { أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا . أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا }**[1]

ووجه تعلق الصد عن سبيل الله بأكل أموال الناس بالباطل من وجوه :

**الأول** : أن الصد عن سبيل الله يجمع قلوب المعرضين عن الحق فينتج عن ذلك محبة بذل المال في ذلك .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الخصومات ، باب التقاضي ، رقم الحديث ٢٢٩٣ورواه مسلم في صحيحه.كتاب صفة المنافقين.باب سؤال اليهود. رقم الحديث٢٧٩٥

**الثاني** :أن التحريف والتبديل في الكتب السماوية سواء كان ذلك في اللفظ أو المعنى يجعل الناس يذلون بدفع أموالهم لظنهم شرعية هذا الأمر كما كان حال الرهبان والأحبار، وذلك من خلال أخذ هذا الكتاب المحرف وشراءه.

**الثالث**:أن أصحاب الأموال حين يدفعون أموالهم إلى هؤلاء الصادين عن سبيل الله ليضعوها مواضعها يأكلونها في بطونهم .

**وهذه أمثلة تبين حال أهل هذه الصفة :**

**المثال الأول:** قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ}** [التوبة: ٣٤].

ولعل أحدا يتساءل : إذا كان هذا حال الرهبان والأحبار فما هو حال غيرهم من عموم الناس ، لعل أحسن الناس عندهم من يغش ويرشي ويرابي ، وليس غريبا على الأحبار والرهبان ما ذكره الله عز وجل ، لأنهم انتكسوا في عقولهم فآمنوا بالمستحيل وصدقوا الخرافات فصار البناء متهالكا يكاد أن يسقط ، ولذلك نجد أتباع دينهم لا يتحاشون عن منكر فعلوه .

**المثال الثاني:** قال تعالى : **{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً}** [ البقرة:٩٧ ]

وهذا مما يعزز ما سبق ذكره ، وهو أن هؤلاء القوم آمنوا بالمستحيل وصدقوا الخرافات ، ومن ذلك تصديق الرهبان في زعمهم أن ما كتبوه من عند الله ، ألا يخطر ببال أحدهم سؤال : وهو كيف عرف الراهب أن هذا من عند الله .

**المثال الثالث:** قال تعالى: **{اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [ التوبة:٩ ]

**ـ الصفة الثانية: نقض العهد:**

النقض هو حل ما أبرم وعقد وهذا يعم جميع صور النقض والحل والهدم فيدخل في ذلك حل الحبل وهدم البناء وانتقاض الطهارة ، وضده الوفاء

بالعهد وحفظه ، والمراد بالعهد ما يعم عهد الله وعهد الناس فيدخل في ذلك أصول الدين حقوق الناس ونحو ذلك .

وقد عد أهل العلم نقض العهد من الكبائر[1].وسبب جعله من الكبائر النصوص الكثيرة الواردة في ذمه ،فهو صفة اليهود والمنافقين والمشركين وسبب الطمس على القلوب واللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين وموجب قسوة القلب وذهاب الدين وانتشار القتل وقد جاءت البراءة عن صاحبه في السنة وهو سبب تسليط الأعداء وينصب لمن نقض عهده لواء يوم القيامة يفضح به على الملأ.

والمقصود به حل العقد المبرم بين هؤلاء الصادين عن سبيل الله وغيرهم ، ولا يتصف بهذه الصفة إلا أهل المكر والخداع والغش والخيانة .

**المثال الأول:** قال تعالى : {**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُون**} [البقرة :١٠٠]

وهذا من أخص أوصاف اليهود التي تميزوا بها عن سائر الأمم ، وأول أمرهم حين نقضوا العهد مع أنبيائهم حال رؤيتهم ، وثاني أمرهم بعد ذهاب أنبيائهم ، وثالث ذلك مع بني جلدتهم ، ورابع ذلك وآخره مع عموم الناس ولاسيما المسلمين فقد كانوا يتفننون في نقض العهد معهم ، وكأن هذا الأمر من أعظم القربات [2].

**المثال الثاني:** قال تعالى : {**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُون**} [الأنفال :٥٦]

وهذا حال المشركين الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا يبحثون عن فرصة ليغدروا أو يخونوا ، وقد نقضوا عهود النبي صلى الله عليه

---

(١)انظر: الكبائر للذهبي ١٦٨والزواجر من الكبائر لبن حجر الهيتمي ١٤٠.

(٢) لقوله تعالى:"**ومنعم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل**"[آل عمران:٧٥]

وسلم في مكة والمدينة ، فمن ذلك نقضهم لحقوق المسلمين في مكة و طـردهم ومنعهم من أموالهم ، وصدهم عن التعبد لله وتعذيبهم[1]. ، وهـذا مـن أعظـم صور النقض للعهد ، لأنه نقض للقرابة والصلة والجوار.

ومن ذلك ما جرى منهم في غزوة أحد والأحزاب وحنين .

**المثال الثالث:** قال تعالى : {**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**} [التوبة :١٢]

**ـ الصفة الثالثة: الإسراف:**

الأصل في هذه الكلمة التعدي ومجاوزة الحد[2]. ، يقول الراغب :السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان ، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر[3]

ومن تتبع مواضع السرف في القرآن في القرآن وجدها تعم السرف المالي وغيره كالسرف في القتل والذنوب ، كما قال تعالى : " **فلا يسرف فـي القتـل** "[الإسراء:٣٣ ]، وقال تعالى : " **قل يا عبادي الذين أسرفوا علـى أنفـسهم لا تقنطوا من رحمة الله** " [الزمر:٥٣ ].

وعلى ذلك فإن السرف شرعا هو : مجاوزة الحدِّ في الأقوال والأفعال[4]. ، وقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك :

**المثال الأول:** قال تعالى : {**وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِـي الأَرْضِ وَإِنَّـهُ لَمِـنَ الْمُسْرِفِينَ**} [يونس :٨٣]

وهذا هو الموضع الأول الذي وصف الله فيه فرعون بالمسرف والموضع الثاني هو قوله : " **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب الأليم من فرعون إنـه**

---

(١) وقد قال تعالى:"يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عـن سـبيل الله وكفـر والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل"[البقرة:٢١٧]

(٢)انظر: مقاييس اللغة لابن فارس(١٥٣/٣)والصحاح٢٣٠وبصائر ذوي التمييز(٢١٦/٣).

(٣)انظر:المفردات للراغب٢٣٠.

(٤) انظر القاموس الفقهي(١٧٠/١) ومرادفيه عند الحنفية: هو استعمال الشئ فوق الحاجة الشرعية وتجاوز الحد في النفقة و إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس و عند الظاهرية: كل نفقة نهى الله عنها.

**كان عاليا من المسرفين** " [الدخان:٣٠-٣١] ونلاحظ تشابه الآيتين في الجمع بين العلو والإسراف ، وسبب ذلك فيما يظهر ما يأتي :

الوجه الأول: أن الآيات تشير إلى خوف الناس من فتنة فرعون لهم .

الوجه الثاني : أن في هذا الموضع بيان علو فرعون واستكباره على الناس وأثر ذلك على إعراض الناس .

الوجه الثالث: أن الآيات أفادت أن فرعون كان يستعين بالملأ الذين يصدون الناس عن سبيل الله وقد حصلوا على هذه المنزلة بعلو فرعون، وعلى ذلك ففرعون لا يستغني عنهم وهم لا يستغنون عنه.

ووجه وصف فرعون بالإسراف للدلالة على مبالغته في تعذيب الناس والتفنن في ذلك بل والاستمتاع كما قال تعالى: " **وإذ نجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**" [البقرة:٤٩]

وقد جمعت هذه الآية على وجازتها أعظم صور الإسراف من عدة أوجه :

**الوجه الأول** : قوله : " **نجينا كم** " يدل على التخليص والإغاثة من مكروه عظيم.

**الوجه الثاني**: قوله " **آل فرعون** " يدل على تآمر الجماعة الفرعونية على بني إسرائيل

**الوجه الثالث**: قوله " **يسومونكم** " وهو يدل تجرع المرارة من آل فرعون ، لأن السوم يدل على العلامة ولا يكون العذاب علامة حتى يغص به صاحبه ، هذا إذا لم يكن سيئا فكيف إذا كان أسوء العذاب وهو:

**الوجه الرابع** : قوله " **سوء العذاب** " وهو أوجع ما يكون [1]. ، وذلك بأن يجمع بين الألم الحسي والمعنوي ، والمهانة والاحتقار ، وقتل الأبناء أمام الآباء وإهانة النساء أمام الرجال ، وهذا عذاب ابتدعه فرعون وملؤه لزيادة الألم.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير(٢٥٨/١)

**الوجه الخامس والسادس** : قوله " **يذبحون أبناءكم** " فيه وسيلة الذبح وفيه اختيار الأبناء للذبح ، أما الذبح فالمقصود به بالسكين أو أي وسيلة مشابهة تمر على العنق لأنه مكان الذبح ، ولا يفعل الناس الذبح إلا في البهائم ليأكلوها ، أما إذا أراد أحد أن يقتل أحدا فإنه يقتله بوسائل القتل المعروفة ، أما أن يذبحه فلا يحصل إلا من منتقم قد نزعت منه الرحمة ، ونلاحظ التأكيد على الذبح بالتشديد على الباء للدلالة على المبالغة في ذلك .

وأما اختيار الأبناء فهو أشد على النفس من كل شيء لأن الإنسان يفدي ولده بنفسه ، ويصاب بالأسى على فقده ، فكيف يكون حاله إذا كانت وسيلة قتله الذبح ، والذي يظهر أن فرعون كان يذبح الأبناء بعلم آبائهم لأن الله يذكرهم بأمر يعلمونه، ولعله مع رؤيتهم لذلك لأن فرعون لا يبالى بالمشاعر والعواطف.

**الوجه السابع والثامن** : في قوله " **ويستحيون نساءكم**" فإن فيه استحياء النساء واختيار القرابات لرجال بني إسرائيل ، وهذا يدل على إبقائهن على قيد الحياة وإذلالهن بالعمل والخدمة ، والمراد بالنساء قرابات الرجل كزوجته وابنته وأخته وأمه ونحو ذلك ، وفي ذلك من العذاب ما يفوق الوصف ، وقد صدق الله حين " **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**"

**المثال الثاني**: قال تعالى {**فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ**} [الأنبياء:٩]

وهذا كثير في القرآن وهو أن يسمي الله من أشرك به مسرفا كما قال تعالى : " **كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعلمون** " [يونس: ١٢] ، وقوله في قصة يس على لسان الأنبياء : " **بل أنتم قوم مسرفون** "[يس :١٩] ، وقال تعالى : " **إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** " [غافر :٢٤]وقوله : " **وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه** " [طه:١٢٧ ]

وسبب الاقتران والعلم عند الله أن المشرك تجاوز حد العبودية وخرج عن ذل العبودية لله إلى ذل العبودية لغيره.

**المثال الثالث:** قال تعالى : {**وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ**} [الشعراء: ١٥١].

وهذا يؤكد ما سبق وهو اقتران الشرك بالإسراف ، وههنا قدر زائد وهو تحريم طاعة المسرف لأنها معصية ، ولأن أمره ليس برشيد ، وحاله من بعض الوجوه كحال ولي اليتيم المسرف فإنه لا ولاية له على اليتيم وتنقل ولاية اليتيم إلى القاضي إن لم يكن لليتيم عصبة.

## المبحث الثاني

## أنواع الصد عن سبيل الله تبارك وتعالى

لقد تتبعت مواضع الصد عن سبيل الله في القرآن فوجدت أن الصادين عن سبيل الله يستعملون طريقتين لمنع الناس من الحق ، الطريقة الأولى : قولية وهي الصد عن الوحي والرسل والثانية فعلية وهي إيذاء الرسل وأتباعهم.

**المطلب الأول: الصد عن الوحي والرسل**

**ـ المسألة الأولى: الصد عن الوحي:**

والمراد بذلك أن يتولى الصادون عن سبيل الله محاربة الوحي بشتى الوسائل ، فتارة يشككون في أخباره وتارة يعارضون أحكامه ، وتارة يثيرون الأسئلة المريبة التي تؤثر في عقول الضعفاء مثل السؤال عن الساعة ونحو ذلك.

واختيار الصادين للوحي حتى يكون في مرمى طعونهم لأن حجة الرسل وأكبر برهان على الحق ، وإذا أبطله الصادون انصرف الناس عن الرسل ، ولذلك حرص الصادون على منع الناس من الانتفاع بالوحي بشتى الوسائل.

و من هذه الوسائل :

**الوسيلة الأولى: دعوى تحريف الوحي والافتراء فيه :**

ومضمون هذه الدعوى أن الرسل يكذبون على الله ويزعمون أن كلامهم من الله وكل هذا كذب ، ولا شك أن السامع لهذه الدعوى قد يحصل عنده تردد في كلام الرسل ، وقد تكون هذه الدعوى سابقة لكلام الرسل فتكون حجابا بينه وبين الحق ، وإن كان قد سمع كلام الرسل قبل هذه الدعوى ولم يتدبره فإن هذه الفرية ستحول بينه وبين التدبر .

وهذه أمثلة تدل على اتفاق الصادين على دعوى التحريف:

**المثال الأول:** قال تعالى : {**إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**} [المؤمنون: ٣٨].

ومن تأمل الدعوى أدرك الباعث لها وهو أنهم يرونه رجلا مثلهم ، فكيف يزعم أن الله يوحي إليه ، كما قال تعالى : " **ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون** " [المؤمنون:٣٣-٣٤].

وقد رد الله على دعوى الافتراء فقال :"**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين**"[ يونس:٣٧ ]

**المثال الثاني:** قال تعالى : **{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}** [الفرقان: ٥]

ومعنى قولهم أن هذا الكلام الذي يزعم محمد أنه كلام الله ما هو إلا قصص سطرها الأولون وكتبوها ، وجاء محمد وأخذها عنهم كتابة أو سماعا ، وهذه الأساطير تملى عليه في أول النهار وآخره ، وهذا السبب هو الذي يجعل محمدا يتلو علينا هذا الكلام [١].

والجواب عليها ظاهر لكل أحد ، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة والكتابة ، وليس عنده من يعلمه ولو كان عنده من يعلمه فإن هذه القصص وما يسمونه أساطير كانت بلسان أهل الكتاب فمن الذي قام بالترجمة إلى لغة العرب ، وهذا يظهر في المثال الثالث.

**المثال الثالث:** قال تعالى:"**إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون** "[الفرقان :٤]

وهذه الآية توضحها آية النحل " **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**" [النحل : ١٠٣] .

ومعنى الآية أن الكفار كانوا يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بالتعلم من غلام نصراني كان اسمه فيما قيل جبر، وقيل يعيش وكان الغلام في مكة ،

---

(١) انظر تفسير البغوي(٦/٧٢)

فجاء الرد القاطع بأن هذا الغلام النصراني لسانه أعجمي ، فكيف علم النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن العربي المبين[1].. ،إلا إن يقولوا أن النصراني أملى عليه بلغته ثم كتب محمد صلى الله عليه وسلم القرآن بألفاظه ، وسيرد سؤال وهو كيف عرف النبي لغته وكيف كتب القرآن وليس بقارئ ، ولا كاتب ، وبعد هذا لم يبق إلا أن يقروا أن الله أنزله.

**ـ الوسيلة الثانية: دعوى السحر:**

وهذه من أوائل الطعون التي وجهت للقرآن عند نزوله ، لأن الكفار من أهل مكة اتفقوا على أن القرآن ليس كلام الله ولكنهم اختلفوا في مصدره وأصله فقيل أساطير الأولين وقيل شعر وقيل كهانة وقيل أضغاث أحلام وقيل سحر وفي ذلك يقول الله تعالى : " **عم يتساءلون عن النبي العظيم الذي هم فيه مختلفون**"[النبأ١-٣ ] وقال تعالى: " **الذين جعلوا القرآن عضين**"[الحجر :٩١ ]، وقال تعالى : " **إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر**" [المدثر:١٨-٢٥ ] والقول بالسحر هو الذي استقر عليه رأيهم بعد الخلاف ، وذلك أنهم اجتمعوا في موسم الحج في البعثة النبوية فقال الوليد بن المغيرة وكان ذا سن فيهم : إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، قالوا فأنت فقل ، وأقم لنا رأيا ، قال : بل أنتم قولوا، وأنا أسمع. قالوا : نقول كاهن . فقال : ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه، فقالوا : نقول: مجنون. فقال : ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ، ولا وسوسته. قالوا : نقول : شاعر. فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا : نقول ساحر ، قال : قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ، ولا عقده ، فقالوا : ما تقول يا أبا عبد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير(٦٠٣/٤)

شمس ؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لغدق ، وإن فرعه لجنى ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن نقول : ساحر يفرق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه[1].

ووجه الشبه عندهم بين السحر والقرآن :

١- السحر يفرق بين المرء ومن يحب وكذلك القرآن.

٢- السحر يغير القلوب بسرعة وكذلك القرآن .

٣- السحر لا تستطيع مقاومته وكذلك القرآن

٤- السحر لا تعرف أسبابه وطرقه وكيف أثر في الناس وكذلك الوحي عندهم .

٥- السحر يعتمد على كلام يتفوه به الساحر وكذلك القرآن

ولكن الله أبطل هذه الدعوى بطرق منها أن يدعوهم إلى تدبر هداية القرآن ومنها أن يحيل الأمر إلى مراقبة الرب له وأن الله لا يمهل من يسحر وينسب السحر على الله .

وهذه أمثلة توضح استقرار هذه الدعوى عند الصادين :

**المثال الأول:** قال تعالى: **{فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ}** [يونس :٧٦].

وقد تكررت هذه الدعوى عند فرعون وأمام الملأ حين ألقى موسى عليه السلام عصاه:

**المثال الثاني:** قال تعالى : **{مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ}** [القصص:٣٦]

---

(١) انظر :السيرة النبوية للذهبي ٩٨ وسيرة ابن هشام (١/٢٧٠).

وهاهنا دليلان عندهم لإبطال الوحي الأول : أن هذا الوحي مفترى من عند موسى عليه السلام : والثاني أنهم لم يسمعوا بهذا الأمر من قبل ، ومع سقوط هذين الدليلين عند العقلاء لكنهما رسخا في قلوبهم فلم تتحول أنفسهم عن الضلالة إلا من كتب الله هدايته .

**المثال الثالث:** قال تعالى في {**هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**} [الأنبياء:٣]

وهذا أسلوب جديد يثبت الباطل بأسلوب العرف العام الذي لا ينكره أحد ، لأنه مشهور فكيف يفعله الناس ، ولذلك قالوا : **أفتأتون السحر وأنتم تبصرون**[١] . .

**ـ الوسيلة الثالثة : إثارة الأسئلة والشبه حول الوحي :**

والأصل أن إثارة الأسئلة تقود الناس إلى التفكير لا الشك ، ولكنها تصيب المرضى فلا يفكرون في الحق ، بل يفكرون في الباطل ، ثم يقودهم التفكير إلى الكفر.

**المثال الأول:** قال تعالى: {**لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية**} [البقرة:١١٨].

وهذه الأسئلة يراد بها التعجيز والاعتذار أمام الناس بأن الرسل مبطلون[٢]، لأن الله لم يكلمنا ويخبرنا بصدقهم ، أولم يعلموا أن الله يحب أن يكون إيمان الناس بالغيب لا بالشهادة لأنه لا فائدة منه آنذاك .

**المثال الثاني:** قال تعالى : {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**} [الفرقان: ٣٢]

وهدفهم من هذا هو الطعن بأي شئ لا تصل إليه عقولهم ، فقالوا ما بال هذا الكلام تارة ينزل منه القليل وتارة ينزل الكثير فلماذا لا ينزل كله ، مع أنهم لن يؤمنوا به ، ولو نزل كله ، لكن الأمر عندهم مجرد إثارة للشك[٣].

---

(١) انظر تفسير طنطاوي(١/٢٨٨٠)

(٢)انظر تفسير ابن كثير (١/٤٠٠)

(٣) انظر تفسير السعدي(١/٥٨٠)

**المثال الثالث:** قال تعالى : [ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلا لها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت هلينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا]** [الإسراء :٩٠-٩٣ ]

**ـ المسألة الثانية: الطعن في الرسل:**

وهذه هي المحاولة الثانية بعد فشل المحاولة الأولى ، ونلاحظ الانتقال من الطعن في كلام الرسل إلى الطعن في عقولهم ومقاصدهم ، وسبب هذا الطعن تنفير الناس عنهم وتشكيك الناس فيهم حتى يصل الأمر إلى الحذر منهم ، كما فعل قوم نوح عليه السلام : **وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا** " [نوح:٧ ] ، وكما فعلت قريش مع الطفيل بن عمرو الدوسي ، وفي ذلك يقول ابن إسحاق :

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا : وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا استماعه للرسول صلى الله عليه وسلم .

**قال:** فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ، ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا ، فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه، قال : فغدوت الى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال فسمعت كلاما حسنا ، قال فقلت في نفسي :

واثكل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعته قولا حسنا فاعرض علي أمرك ، قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علي القرآن : فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه، قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق[1]

وهذه الشبهة تؤثر في الناس الذين يجهلون من حال الرسل ، لأن الجاهل سيقول أهل بلدته أعلم به مني إذا حكموا عليه بأمر فإنه حق ، ولكن الله أبطل هذه الدعاوى بالبراهين . وقد نوع الصادون طعونهم في الأنبياء فتارة يطعنون في أمانتهم، وتارة في عقولهم .

**المثال الأول:** قال تعالى: {**إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ**} [هود: ٥٤].

يعني أن هود مجنون بسبب الآلهة وقد قيلت لنوح "**وقالوا ساحر أو مجنون**" [ القمر:٩ ]، وقيلت لمحمد صلى الله عليه وسلم " **يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون** " [الحجر:٦ ] ، وقد قيلت لكل الرسل " **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**" [الذاريات:٥٢ ] .

**المثال الثاني:** قال تعالى: {**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**} [الأعراف: ٦٠] .

والمقصود باتهام الأنبياء بالضلال المبين الغيبة العقلية عن الحق ، لأن العرب تقول ضل اللبن في الماء أي غاب [2]، والهدف من هذا الوصف :

---

(١)السيرة لابن إسحاق (٢/٢٢٦)

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس(٣/٣٥٦).

معارضة دعوة الأنبياء الداعية إلى الهداية ووسم المخالف بالضلال ، ووصفهم بالضلال يشبه وصفهم بالسفاهة في قوله تعالى : {**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**} [ الأعراف:٦٦ ]. حيث إن القاسم المشترك بينهما ضعف العقل.

**المثال الثالث:** قال تعالى: {**أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ**} [يونس : ٧٨]

وهذا طعن في مقاصد الأنبياء وأن دعوتهم ليست لله وإنما هي لمصالحهم الدنيوية من الرياسة والمال كما قال تعالى في "**إن هذا لشيء يراد** "[ص: ٦ ] ، وقال في "**إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون**" [الأعراف: ١٢٣] ، ونلاحظ لفظ المكر الدال على التوصل للمطلوب بأسلوب خفي.

**المطلب الثاني: الإيذاء للرسل وأتباعهم**

وهذا الإيذاء نوع من الابتلاء الذي كتبه الله على أوليائه ليزدادوا إيمانًا وثباتًا، والشجرة الصغيرة لا تكبر إلا إذا ابتليت بالريح كما في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيؤها الريح مرة وتصرعها مرة**»(١).

**المسألة الأولى: الإيذاء للرسل:**

وقد أخذ ألوانًا متعددة حتى إني أقول : هل بقي نوعٌ من العذاب لم يجربه الأنبياء ، فالقتل والتعذيب والطرد والشتم والرجم والجدال بالباطل والإكراه كلها قد أحاطت بالأنبياء والمرسلين ، ومن سلم من القتل لم يسلم من التعذيب ، ومن سلم من التعذيب لم يسلم من الطرد أو الشتم أو الرجم أو الجدال بالباطل أو الإكراه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.كتاب المرض .باب ما جاء في كفارة المرض.رقم الحديث٥٣١٩.ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين .باب ما جاء في مثل المؤمن والمنافق ٢٨١٠

**المثال الأول:** قال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ}[العنكبوت: ٢٤]

والقتل والحرق إزهاق للنفس بالتعذيب ولكن الحرق يمتاز بثلاث مميزات:

الأولى: التعذيب البطيء الذي يشبع رغبة الإنتقام .

الثانية: التخويف والترهيب لكل من أراد موافقة الأنبياء .

الثالثة: إظهار العجز والضعف عن نصرته حتى يتبين للناس كذبه على الله .

ولذلك تم اختيار الحرق مع أن والد إبراهيم آزر هو الذي كان يصنع الأصنام لقومه، وكان إبراهيم من خيرة فتيان قومه، ومن أبناء وطنهم، ولكن الكفر لا يعرف قرابة .

**المثال الثاني:** قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} [الأنفال: ٣٠]

وهذا المكر كان مبيتا منذ أوائل الدعوة لكن الموانع حالت بينه وبين تحقيقه، كوجود أبي طالب وتزايد المسلمين، فلما توفي أبو طالب وكان المسلمون قد هاجروا إلى الحبشة ظهر المكر، وبدؤوا يفكرون في الخطوات التي ذكرها الله في سورة الأنفال[1]، وتشترك الوسائل الثلاث بمنع الحق من الوصول للحق .

**المثال الثالث:** قال تعالى : {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [الأعراف: ٨٨] .

وهذا إكراه على الباطل وتخيير بين أمرين أحلاهما مر .

---

(١) روى البيهقي في دلائل النبوة عن عائشة رضي الله عنهاأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"ما زالت قريش كاعة عني حتى توفي أبوطالب" (٣٤٩/٢)ومعنى كاعة يعني مجتنبة، وانظر في قصة قريش بعد وفاة أبي طالب :دلائل النبوة للبيهقي(٤١٥/٢)

ـ المسألة الثانية: الإيذاء لأتباع الرسل:

وكان الهدف من هذا الإيذاء تقليص قوة الرسل ومحاصرة الدين في مكانٍ ضيق ورد الأتباع إلى دينهم السابق ليكونوا عبيدًا للملأ المستكبر.

ومن تتبع صور الإيذاء وجدها متنوعة وشاملة لكل ما يتصور فالتهديد والتشكيك والتخويف والتعذيب والتفريق بين الناس من أبرز وسائلهم، وكان الذي يجمع بين هذا كله المكر والكيد.

**المثال الأول:** قال تعالى : **{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}** [القصص: ٤]

ونلاحظ أن علو فرعون مستمد من التفريق بين الناس وجعلهم شيعا كما قيل "**فرق تسد**"(١)، ومستمد من استضعاف الناس وجعلهم أذلاء خاضعين لقوته وسلطانه، وكأنه يستمتع بذبح الأبناء واستعباد النساء، وهذا من أعظم الفساد في الأرض(٢)، ومن أعظم صور الصد عن سبيل الله، لأنها تجمع بين حرمان الناس من دينهم ومن دنياهم ، بل وتصب عليهم العذاب صبا بجميع أشكاله الحسية والمعنوية.

**المثال الثاني:** قال تعالى : **{فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}** [طه:٧١]

ولعل فرعون أول من سن هذه السنة السيئة ، وهي التمثيل ببدن المخالف وتصليبه ثم انتشرت بعده(٣)، وظاهر من كلام فرعون التهديد والوعيد الأكيد على اتباعهم لموسى عليه السلام .

---

(١) في الدر المنثور عن مجاهد في هذه الآية أنه قال :"فرق بينهم"(٦/٣٩١)

(٢) انظر تفسير أبي السعود(٧/٢)

(٣) قال في تفسير أبي السعود (٣/٢٦١):"قيل هو أول من سن ذلك"

**المثال الثالث:** قال تعالى : {يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [الحج:٧٢]

"أي يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن، ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء" [١]

والسطوة شدة البطش، يقال: سطا به يسطو إذا بطش به، كان ذلك بضرب أو بشتم[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير(٥/٤٥٣)

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ٩٥)

## المبحث الثالث

## أصناف الصادين عن سبيل الله وأسباب صدهم

**المطلب الأول: أصناف الصادين:**

لم يكن الصادون على صنف واحد ، بل كانوا طوائف شتى ولكنهم يعودون إلى أربعة أصناف :

**الصنف الأول: المنافقون** : وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، ولم أقف على دليل يثبت وجود المنافقين في الأمم السابقة ، ولعل السبب أن الظهور والغلبة كانت من نصيب الإسلام دون غيره ، ولذلك لم يظهر المنافقون في مكة ولم يظهروا قبل غزوة بدر، ولكنهم ظهروا بعد ذلك حين قال عبد الله بن أبي بن أبي سلول : هذا أمر قد توجه رواه البخاري في صحيحه ،باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، (١٣٨/١١)رقم الحديث٤٥٦٦

وهم أخطر الأصناف على الإطلاق لعدة أوجه:

**الوجه الأول** : إظهارهم الدين وخفاء أمرهم عن أكثر الناس.

**الوجه الثاني** : تزيينهم الباطل وإظهاره بالوجه الحسن المقبول.

**الوجه الثالث** : كثرة مخالطتهم لأهل الحق حتى في أشد المواطن .

**الوجه الرابع** : إكثارهم من الشبه والشكوك التي تنطلي على كثير من الناس كما قال تعالى : " **وفيكم سماعون لهم** "[التوبة:٤٧]

**الوجه الخامس** : سماعهم لكلام الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ونقله للمسلمين .

وفي ذلك يقول ابن القيم :

" هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر" ، ثم قال :" وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة : المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر في المؤمنين

أربع آيات وفي الكفار آيتين وفي المنافقين ثلاث عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة" .

ثم يقول : " فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه ! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه ! وكم من علم له قد طمسوه ! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه ! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها ! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها ! فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ، ثم قال :" لهم علامات يعرفون بها مبينة في السنة والقرآن بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان " (١)

ولذلك كثر في القرآن الرد عليهم في السور المدنية ، ولا سيما البقرة والنساء والتوبة والنور والمنافقون .

**المثال الأول:** قال تعالى : **{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّـهِ}** [المنافقون: ٢].

وسبب اليمين الكاذبة استهانتهم بالله وتقديم نفوسهم على كل شيء .

**المثال الثاني** : قال تعالى في **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}** [التوبة: ١٠٧]

سبب نزول هذه الآيات الكريمات ، أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير.

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شرق

---

(١) مدارج السالكين (٣٤٨/١) .

اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش، يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته ، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله ، ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه. وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال : "إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله" فلما قفل عليه السلام راجعاً

إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية، هم أناس من الأنصار بنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجنود من الروم وأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله عز وجل {**لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً**} إلى قوله: {**الظَّالِمِينَ**} وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء، [1]

**المثال الثالث:** قال تعالى : {**لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**} [المنافقون: ٧].

وقد نزلت هذه الآيات في عبد الله بن أبي بن أبي سلول كما في الصحيحين.[2]

**ـ الصنف الثاني: الكفار:**

والمقصود بهم كل من أعلن الكفر بالله ممن ليس له دين سماوي ، وهؤلاء أكثر الصادين عن سبيل الله في كل زمان ، وسبب ذلك كراهيتهم لتغيير ما كان عليه آباؤهم ، وضعف عقولهم عن إدراك الحق .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٧٢)

(٢) رواه البخاري في صحيحه .كتاب التفسير.باب إذا جاءك المنافقون .رقم الحديث٤٦١٧ورواه مسلم في صحيحه.كتاب صفات المنافقين. رقم الحديث ٧٢٠٠

**المثال الأول** : قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء: ١٦٧]

**المثال الثاني**: قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [الحج: ٢٥]

**المثال الثالث**: قال تعالى : {خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} [الأنفال:٤٧]

ومن خلال هذه الآيات الثلاث نلاحظ أمرين :

١- أن الكفار صدوا ويصدون عن سبيل الله بصيغتي الماضي والمضارع الدالتين على تجذر هذا الأمر فيهم [١].

٢- أنهم يصدون عن سبيل الله صدا مطلقا وصد مقيدا فأما المطلق فظاهر وهو الصد عن الحق بجميع أفراده ، وأما المقيد فيأتي في الصد عن المسجد الحرام .

**ـ الصنف الثالث: أهل الكتاب :**

وهم كل من انتسب إلى دين سماوي ولو كانت النسبة بالاسم ، فيدخل في ذلك كل من انتسب إلى اليهود أو النصارى ولو لم يكن مستمسكاً بدينه.

**المثال الأول**: قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} [آل عمران:٩٩].

**المثال الثاني**: قال تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا} [النساء: ١٦٠].

**المثال الثالث**: قال تعالى: {إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} [التوبة: ٣٤].

وبعد عرض الأصناف الثلاثة للصادين نلاحظ أمورا :

---

(١) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٩/٣٣٤)

١- تعاون هذه الأصناف على الصد عن سبيل الله ، مع شدة اختلافهم وتكفير بعضهم لبعض ، ولكن كما قيل : " عدو عدوي صديقي " لما في ذلك من المصالح المشتركة ، وهذا يدلنا على أن العداوة الحقيقية ليست بسبب الدين بل من أجل الدنيا ، حتى من أصحاب الديانات ، وذلك أنهم يتذرعون بالدين ويتسلحون به لتشريع الصد عن سبيل الله ، لأنهم لو كانوا صادقين لما تحالفوا مع غيرهم من الديانات ، أو من ليس له دين ، وقد قال تعالى :"**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب الآية** "[البقرة:١١٣]،وقال أيضا:"**وما بعضهم بتابع قبلة بعض الآية**"[البقرة: ١٤٥].

٢-اشتراكهم في وسائل الصد عن سبيل الله من الطعن في القرآن والرسول، وحصول الإيذاء الحسي والمعنوي .

٣- تفاوتهم في قبولهم الإسلام فأبعد الناس عن الدين هم المنافقون ثم اليهود ثم النصارى ثم بقية الكفار ، وذلك أن الكفار الذين يدخلون في الإسلام أكثر من النصارى . وكذلك الداخلين من النصارى أكثر من اليهود . وكذلك اليهود الداخلين أكثر من المنافقين .

**المطلب الثاني: سبب الصد عن سبيل الله**

عند النظر فيما يفعله الصادون عن سبيل الله في الرسل وأتباعهم ، يتعجب من قوة المواجهة والتفنن في التعذيب والتخلي من كل خلق في سبيل التخلص من الرسل وأتباعهم ، ومن أراد التعرف على سبب هذه المعارضة فليتتبع القرآن والسنة فإن فيهما حصرا لهذه الأسباب التي منها :

١- تقليد الآباء وإتباعهم : كما قال تعالى : " **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية إلا قال مترفوها إنا وجدنا ءاباءنا على أمة وإنا على ءاثارهم مقتدون** "[الزخرف: ٣٢] ، وقال تعالى : " **فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد ءاباؤهم من قبل** الآية "[هود:١٠٩ ]

وهذا السبب هو المانع الأقوى عند عموم الكفار من غير أهل الكتاب ، وهناك أسباب أخرى كتزيين الشيطان والكبر والاحتجاج ببشرية الرسل والحرص على الدنيا والجهل .

٢- اتباع الهوى : والمقصود به ما تهواه النفس من المحرمات ، وقد كان هذا السبب مانعا عظيما في صدور الصادين عن سبيل الله كما قال تعالى: " **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم**"[ الروم: ٢٩ ] ، وقال تعالى: " **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم الآية** "[ الجاثية :٢٣] ، وقد عمل هذا السبب عمله أكثر من غيره عند المنافقين كما قال تعالى : " **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أئنك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**" [ محمد:١٦].

ولذلك كان المنافقون يطلبون العزة من الكافرين كما قال تعالى: " **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**"[النساء:١٣٨، ١٣٩]، وتجدهم يخافون على أنفسهم من الجهاد كما قال تعالى : " **ولكنهم قوم يفرقون** "[التوبة:٥٦ ] ، وقد امتلأت قلوبهم بمرض الشهوة ومرض الشبهة كما قال تعالى:" **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** "[البقرة:١٠ ]

٣- الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود ظلما وعدوانا ،وأكثر من حسد المسلمين هم اليهود، كما قال تعالى: " **حسدا من عند أنفسهم**" [البقرة:١٠٩]، وثبت في السنن " **ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأذين**"(١) . وسبب الحسد عند اليهود(٢) أنهم كانوا ينتظرون نبيا يخرج في آخر الزمان ، وكانوا يظنون أنه من سلالة

---

(١) رواه ابن ماجة. كتاب الصلاة ، باب الجهر بآمين ، رقم الحديث ٨٦٠

(٢)

إسحاق ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلموا أنه من سلالة إسماعيل ، حسدوه ومما زاد الحسد عندهم ما وجدوه من التيسير والشمول والآداب الحسنة وغير ذلك من محاسن الإسلام .

وهذه الأسباب الثلاثة تجتمع في حب الدنيا ، إذ أنه رأس كل خطيئة وسبب كل بلوى ، وقد أشارت الآيات إلى هذا السبب كثيرا ، وأردفت ذلك في بعض المواضع بالصد عن سبيل الله عز وجل :

**المثال الأول:** قال تعالى : {**الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ**} [إبراهيم: ٣]

**المثال الثاني:** قال تعالى: {**وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**} [المؤمنون:٣٣].

**المثال الثالث:** قال تعالى: {**ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**} [الجاثية:٣٥].

ووجه تسبب الدنيا بالصد عن سبيل الله من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن هؤلاء الصادين ينظرون إلى اجتماع الناس حول الأنبياء أو أتباع الأنبياء ويرون تعلق الناس بهم ومحاسن أفعالهم فيحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله كما قال تعالى :"**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** " [النساء : ٥٤]

الوجه الثاني :الخوف على ذهاب المكانة الدنيوية من الرياسة والتجارة وهما من كبار الشهوات الدنيوية ، ذلك أن الأنبياء وأتباعهم لهم من الحجج والبراهين الدالتين على بطلان ما عليه أهل الرياسات والتجارات من التصرفات المحرمة ، ومما يثير الخوف عندهم أن الناس إذا تبعوا الأنبياء لم يبق لهؤلاء أحد يتصرفون فيه كما قال فرعون عن موسى: "**يريد أن يخرجكم من أرضكم** "[الشعراء:٣٥] ، ولذلك كان موسى يقول لفرعون: " **أرسل معي بني إسرائيل**"[الشعراء:١٧]

الوجه الثالث : أن اتباع الأنبياء سيكون فيه ترك للعوائـــد والـــشهوات ، وهما من أشق الأمور على النفس.

الوجه الرابع : أن الصادين عن سبيل الله يعتقدون أن اتباعهم للأنبيـــاء سيؤثر على سمعتهم وأنسابهم ، لأنهم يحبون الإنفراد وعدم التبعية لأحد .

## المبحث الرابع

## مواجهة الصادين عن سبيل الله عز وجل

من سنن الله الكونية التدافع بين المتضادين والمتناقضين[1] ، ومن التدافع بين النقيضين التدافع بين أهل الحق والصادين عن سبيل الله ، كما قال تعالى : " **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** "[ البقرة:٢٥١] ، فظهور الصادين على أهل الحق من التدافع وله حكم :

**الحكمة الأولى** : ابتلاء أهل الإيمان ليتبين الصادق من الكاذب ، وقد قال تعالى : " **أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** " [العنكبوت:٢] ، ولذلك نجد أن المؤمنين حين جرى ما جرى في غزوة أحد من الانكسار ، قال المؤمنون كيف نهزم وفي ذلك يقول تعالى: " **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم** "[آل عمران:١٦٥] ، وقال تعالى : " **وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء** " [آل عمران:١٤٠ ].

**الثانية** : أن معادن المؤمنين لا تظهر إلا إذا كان الظهور للصادين عن سبيل الله ، كمعدن الصبر والحلم والمداومة والتأني والرفق وغيرها من أخلاق المؤمنين ، كما كان موسى عليه السلام يصبرأصحابه فيقول لهم : " **استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين** "[الأعراف:١٢٨]

**الثالثة** : أن ظهور الصادين عن سبيل الله يكشف للناس أخلاقهم ومعادنهم ، كما هو الحال في المنافقين فإنهم يسرون بأخلاقهم عند الخوف ويظهرونها عند الأمن .

---

(١) الضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض. والفرق بين الضدين والنقيضين: أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود، والضدان لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض ا. هـ التعريفات ١٧٩.

**الرابعة** : أن الله يداول بين الأيام فتارة يمكن هذا وتارة يمكن الآخر ليعلم الجميع أن النصر بيد الله وأنه على كل شيء قدير .

**الخامسة** : أن المواجهة مع الصادين ستؤول في النهاية إلى نصرة الحق ، ولكن هذه العاقبة لا تمر إلا على جسر الغلبة للصادين ، فلا بد أن يظهر الباطل ليتم قلعه ، ولابد أن يكسر أهل الحق ليعرفوا أسباب الهزيمة ، ولذلك يقول الله تعالى : " **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** " [آل عمران: ١٤١ ] ، ومحق الكافرين لا يكون إلا إذا انتصروا وظهروا ، وسبب ذلك أن الباطل لا يذهب إلا شيئا فشيئا كما جاء شيئا فشيئا ، وهذا من السنن الكونية ، ذلك أن الأدواء الحسية لا تذهب إلا شيئا فشيئا فكذلك الأدواء المعنوية لا تذهب حتى تضعف، وسبيل إضعافها أن تظهر ثم تنكسر ، **وليس معنى هذا أن يمكن للباطل ويؤذن له، ولكن المقصود بيان الإرادة الكونية لا الشرعية** .

وعند النظر في القرآن نجد أنه تحدى هؤلاء الصادين عن سبيله في مواطن كثيرة وواجههم بوسائل متعددة لإبطال دعاواهم .

وقد ظهر لي أن هذه المواجهة كانت في ثلاثة سبل:

*** السبيل الأول: البيان التام:**

والمقصود به بيان الحق وإبطال الباطل ، وكان ذلك في مسألتين :

**المسألة الأولى: بيان صفاتهم وأقوالهم وأفعالهم:**

وهذا أمر لا يكاد يخفى في القرآن ، بل إن كثيرًا من السور المكية قلما تخلو من هذا كما في سورة الأنعام والأعراف ويونس وهود وإبراهيم والإسراء وطه وغيرها ، وإن كانت سورة الأنعام قد أخلصت للحديث عن صفات الصادين عن سبيل الله من أهل مكة ، أما السور الأخرى فقد كانت تبين صفات أعداء الرسل عمومًا .

وأما بيان صفات وأقوال اليهود والنصارى والمنافقين فقد كانت في كثير من السور المدنية كالبقرة وآل عمران والنساء والتوبة وغيرها .

ونلاحظ عند ذكر الصفات من الأقوال والأفعال غياب ذكر الأسماء والألقاب والكنى ، إلا في سورة المسد ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قبح الكلمة التي قالها أبو لهب ، وهي تبًا لك ألهذا جمعتنا..[1] ولأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فاقتضى كل ذلك التسمية .

وتعود أهمية ذكر الصفات والأقوال والأفعال دون الأسماء إلى عدة أمور:

**أولها**: دوران الحكم مع علته وجودًا وعدمًا، فإن الصفات والأقوال والأفعال هي التي اقتضت الحكم عليهم دون الأسماء .

**ثانيها** : التعميم والشمول وذلك أن الصفات والقوال والأفعال صالحة في كل زمان ومكان، إذ أن كل من اتصف بها يأخذ حكمها ، أما الأسماء فقد يتوهم أحدٌ أن الحكم قاصر على هذه الأسماء .

**وثالثها** : أن أصحاب هذه الأقوال والأفعال قد يتوبون ويرجعون عما هم فيه، فكان الأولى ذكر صفاتهم دون أسمائهم.

**ـ المسألة الثانية: بيان الحق لهم وتفنيد الشبه:**

وهذا يقوم على ركنين :

**الركن الأول** : إحقاق الحق الذي خفي عليهم .

**والركن الثاني**: إبطال الباطل الذي تشبثوا به.

والقرآن مليء بهذا وهذا.

**أما إحقاق الحق** فقد امتلأ القرآن ببيان التوحيد الذي لا يقبل الله غيره ، وصفات الرب المستحق للتوحيد، وأقواله وأفعاله والبراهين الدالة على ربوبيته وألوهيته ، ولا سيما في سورة الأنعام ويونس والحجر والنحل والحج والسجدة وسبأ وفاطر وق والحديد والملك والكافرون والصمد ، وبيان الوحي الذي نزل على أنبيائه وصدقه وفصاحته وإصلاحه لحال الأمم ، ولاسيما في سورة الكهف وطه والفرقان والنمل ويس وص وفصلت، وبيان حال الأنبياء وصدقهم وأمانتهم

---

(١)رواه البخاري في صحيحه.كتاب التفسير.باب تبت يدا أبي لهب.رقم الحديث٤٨٠١.

وحسن حديثهم مع أقوامهم وصبرهم عليهم، ولا سيما في سورة الأعراف وهود ويوسف والأنبياء والقصص والشعراء .

وهذا كله يبطل كل الدعاوى التي ينطق بها الصادون عن سبيل الله تبارك وتعالى .

**وأما إبطال الباطل** فقد صرف القرآن الخطاب فيه ، فتارة يفند الشبه التي يلقونها على مسامع الناس، وتارة يخاطب عقولهم ويبين فساد عبادتهم للأصنام ، وتارة يدلهم على الأولى والأصل في النظر.

والأمثلة على هذه كلها كثيرة: لقوله تعالى: **{وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}** [الفرقان: ٣٣]

**أولاً : تفنيد الشبه :**

**المثال الأول:** قال تعالى: **{سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}** [البقرة : ١٤٢]

**المثال الثاني:** قال تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِين}** [آل عمران: ٥٩ ــ ٦٠].

**المثال الثالث :** قال تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون، هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين}** [آل عمران: ٦٥ ــ ٦٧]

**ثانيًا: بيان فساد عبادتهم للأصنام :**

**المثال الأول :** قال تعالى: **{فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون}** [الأنعام : ٧٨]

**المثال الثاني:** قال تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُون، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُون، وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُون، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُون} [الأعراف: ١٩١ ــ ١٩٥]

**المثال الثالث :** قال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون} [يونس:٣١]

**ثالثًا : دلالتهم على الأولى والأصل في النظر :**

**المثال الأول :** قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} [الفرقان:٣٢]

**المثال الثاني:** قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا} [الإسراء:٨٥]

**المثال الثالث:** قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [البقرة :٢٥٨]

*** السبيل الثاني: الإحسان إليهم والصبر عليهم والإعراض عنهم:**

وهذا كان في مواجهة الإيذاء، وذلك لقلة المسلمين وضعفهم وعدم وجود دولة تعضدهم، ولئلا تضطرب الأحوال في مكة فيصير القتال في كل بيت وفي كل عائلة ، ولأن مكة حرم " **ومن دخله كان آمنا** "[آل عمران:٩٧] ، وقد استقر عند العرب جميعا أن تكون مكة آمنة، ولا سيما بعد حادثة أصحاب الفيل، فكان العمل على العفو والصفح، كما قال ابن كثير:" وقوله: { **قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ** } أي: يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم. وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل

الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد. هكذا روي عن ابن عباس، وقتادة[1]..

ويقول السرخسي: " فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول الواجب دعاؤهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم قال الله تعالى **{ كنتم خير أمة أخرجت للناس }** [ آل عمران : ١١٠ ] الآية ورأس المعروف الإيمان بالله تعالى فعلى كل مؤمن أن يكون آمرا به داعيا إليه وأصل المنكر الشرك فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه .

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه و سلم – مأمورا في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين، قال الله تعالى **{فاصفح الصفح الجميل}** [ الحجر: ٨٥ ] وقال تعالى: **{ وأعرض عن المشركين }** [الحجر : ٩٤ ] ، ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن فقال تعالى **{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}** [ النحل : ١٢٥ ] ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالى: **{ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا }** [ البقرة : ١٩١ ] أي أذن لهم في الدفع وقال تعالى: **{فإن قاتلوكم فاقتلوهم}** [البقرة:١٩١] وقال تعالى:**{وإن جنحوا للسلم فاجنح لها}**[الأنفال:٦١] ثم أمر بالبداية بالقتال فقال تعالى :**{ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة}**[ البقرة : ١٩٧ ] ، وقال تعالى : **{ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم }** [ التوبة : ٥ ].

وقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – **( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)**، فاستقر الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين وهو فرض قائم إلى قيام الساعة قال النبي – صلى الله عليه وسلم – **( الجهاد ماض**

---

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٢٦٦)

**منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال )** وقال صلى الله عليه و سلم **( بعثت بالسيف بين يدي الساعة وجعل رزقي تحت ظل رمحي والذل والصغار على من خالفني ومن تشبه بقوم فهو منهم )** [1]".

وفي السنة الكثير من ذلك كما جاء عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنه قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} الْآيَةَ وَقَالَ اللَّهُ {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ "** [2].

أما الشبه والشكوك التي يثيرها الصادون عن سبيل الله فلم يكن هناك إعراض عنها بل كان الرد من التفنيد والبيان كما سبق.

**المثال الأول:** قال تعالى : **{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا}** [النساء:٦٣]

**المثال الثاني:** قال تعالى:**{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}** [الأنعام: ٦٨]

**المثال الثالث:** قال تعالى : **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** [الأعراف: ١٩٩وتعود فائدة الإعراض والعفو والإحسان إلى انقلاب عداوة الخصم إلى محبة كما قال تعالى :" **فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**"[ فصلت :٣٤ ]

---

(١) المبسوط (٦ / ١٢٣)

(٢)صحيح البخاري (١١ / ١٣٧) كتاب التفسير ، بَاب {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}.رقم الحديث٤٥٦٦

والسيرة النبوية مليئة بالشواهد والآثار الدالة على إعراض النبي وأصحابه وصفحهم وإحسانهم إلى هؤلاء الصادين كما في قصة سلا الجزور حين وضع على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد[١] ، وحين قتلوا أصحابه كياسر وسمية وعذبوا بلالا وغيرهم وهذا بعض ما فعلوه في مكة[٢]، أما في المدينة فقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم اليهود والمنافقين ، وكان أمره مع اليهود عظيما فقد كان يزورهم إذا مرضوا[٣]. ورهن درعه عند يهودي [٤]

ويقوم عند مرور جنائزهم[٥]. ويتكفل بحمايتهم إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[سورة التوبة:٢٩] ، هذا وهم يتآمرون على قتله ويتحالفون مع عدوه ويلعنونه ويسبونه ويفرقون الناس عنه ويحرضون عليه ويفرقون بين الأوس والخزرج.

وأما المنافقون فقد كان أمره معهم أعجب من أمره مع اليهود ، فقد كان يكني المنافقين[٦] ، ويستغفر لهم [سورة التوبة:٨٠] ويصلي عليهم[سورة التوبة:٨٤] ويكفنهم بقميصه[٧] ، ويقبل عذرهم[سورة التوبة: ٤٩] ، ولا يعيرهم ولا يفضحهم ولا يسبهم ولا يلعنهم ويتعاهد نصحهم بالتي هي أحسن ويعلمهم ما يحتاجون إليه .

هذا وهم يتحالفون مع اليهود ويتخلون عن المسلمين في أشد المواطن حاجة كما في أحد ، ويشقون الصف ويتكبرون ويكذبون ويخونون ويفجرون

---

(١)رواه مسلم في صحيحه.كتاب المغازي.باب ما لقي النبي من أذى المشركين.رقم الحديث٤٧٥٠

(٢) السيرة النبوية لابن كثير(٢٩٥/١)

(٣) رواه أبو داود في سننه.كتاب الجنائز.باب عيادة الذمي.رقم الحديث٣٠٩٥

(٤) رواه البخاري في صحيحه.كتاب الرهن.باب من رهن درعه.رقم الحديث٢٥٠٩

(٥) رواه البخاري في صحيحه .كتاب الجنائز.باب القيام للجنازة رقم الحديث ١٢٤٩ ، ورواه مسلم في صحيحه .كتاب الجنائز.باب القيام للجنازة.رقم الحديث ٩٦٠

(٦) رواه البخاري في صحيحه .كتاب التفسير.باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب.رقم الحديث ٤٥٦٦

(٧) رواه مسلم في صحيحه .كتاب الفضائل .باب فضائل عمر.رقم الحديث ٢٤٠٠

ويطعنون في عرض النبي صلى الله عليه وسلم ويفرقون بين المهاجرين والأنصار و يستهزؤون بالصحابة .

*** السبيل الثالث: الجهاد في سبيل الله:**

والمراد به بذل الجهد لدفع الكفار أو طلبهم[1]، وكان الجهاد على مراتب كما هو في الصلاة والزكاة والخمر والربا :

**المرتبة الأولى:** العفو والصفح وقد تقدمت.

**المرتبة الثانية:** الدفاع عن النفس كما قال تعالى: "**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** "[البقرة:١٩٤]، وقوله: "**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** "**[الحج:٣٩]**

**المرتبة الثالثة:** قوله تعالى: "**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**" [التوبة:٣٦]

وهذه المراتب الثلاث تدل على أن للحج مقاصد وحكم ، ذلك أن القيام بالجهاد بدون هذه المراتب يناقض مقصود الجهاد الذي يتلخص فيما يلي :

مقصود الجهاد الأعظم أن تكون كلمة الله هي العليا وتكون كلمة الذين كفروا هي السفلى كما قال تعالى : " **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** " [التوبة:٤٠] ، وقال تعالى : " **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** "[الفتح:٢٨] وقال تعالى: " **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** "[الأنفال:٣٩] ، ومن هذه الآيات نخلص إلى أن تعبيد الناس لربهم و ا خراجهم من الظلمات إلى النور هو الهدف الرئيسي من الجهاد ، وفي ذلك يقول ابن كثير: " ثم أمر تعالى بقتال الكفَّار: { **حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ** } أي: شرك. قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل بن حيان، والسُّدي، وزيد بن أسلم.

---

(١) لسان العرب لابن منظور(١٣٥/٣)وفتح الباري لابن حجر٢/٦ ، وإرشاد الساري للقسطلاني(٣١/٥)

{ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } أي: يكونَ دينُ الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيحين: عن أبي موسى الأشعري، قال: **سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رياء، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله""**[1] .

ويقول محمد بن الحسن الشيباني: "فرضية الجهاد المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين"[2]، وهذا المقصود العظيم يتضمن مقاصد جزئية كالدفاع عن المستضعفين من المسلمين وفك الأسارى وحماية الدولة الإسلامية وإرهاب الكفار وتمحيص المؤمنين .

**المثال الأول :** قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}** [التوبة:٧٣]

وهذه الآية الآية تدل على أن الجهاد يكون بالسنان وباللسان أما الأول فيكون للكفار وأما الثاني فيكون للمنافقين ولذلك لم يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أحدا من المنافقين ولم يقتلهم .

**المثال الثاني:** قال تعالى: **" وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"** [ التوبة:]، وهذا يعني أن سبب القتال هو شرك المشركين ، ولو لم يعتدوا علينا، وهذا هو جهاد الطلب .

**المثال الثالث:** قال تعالى : **{أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}** [التوبة:١٣]

وهذا تحريض على الجهاد وحث عليه وترغيب فيه وبيان لسببه.

---

(١) تفسير ابن كثير(١/٥٢٥)

(٢)السير الكبير للشيباني(١/١٨٨).

**الخاتمة:**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وقد أتممنا بتوفيق الله عز وجل موضوع **"الصد عن سبيل الله في القرآن"** وهو موضوع طويل ويستحق البحث المستفيض ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق، ولعل فيما ذكر خلاصة تعين على توفية الموضوع حقه ، وقد خلصنا إلى نتائج :

١- أن الصادين عن سبيل الله يعتمدون في صدهم على فتنة اللسان والقول أكثر من فتنة العمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:"أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم عليم اللسان"وقد فتنوا الناس بأقوالهم عن طريق الكذب والأمر بالباطل

٢- أن أعمال الصادين عن سبيل الله كانت مذمومة عند الله وعند الناس حتى الكفار ولذلك نجد أن أهل مكة كانوا يثقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فيضعون أموالهم عنده ولم يثقوا بغيره من الكفار.

٣- جمع الصادون عن سبيل الله جهودهم للصد عن الرسل والوحي لأن إسقاط هذين المرين إسقاط لجميع الدعوة، ولذلك كانوا يشككون ويثيرون الأسئلة ويطلبون المستحيل لإظهار العجز ويتهمون الرسل بالسحر والجنون والأوصاف القبيحة طلبا للتنفير عنهم .

٤- لا يخلوا الصادون عن سبيل الله عن ثلاثة أصناف:الأول: المشركون. والثاني:أهل الكتاب. والثالث: المنافقون ولكل صنف أوصاف خاصة به.

٥- أسباب الصد عن سبيل الله تجتمع في حب الدنيا ويدخل في ذلك اتباع الهوى والحسد وتقليد الآباء.

٦- مواجهة الصادين عن سبيل الله تكون بثلاثة أشياء :البيان التام والعفو والصفح والجهاد. وربما جمع أهل الحق بين هذه الوسائل في زمن واحد وربما أخذوا ما يناسب حالهم كما كان الحال في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

# فهرس المراجع


١. إحياء علوم الدين.محمد بن محمد الغزالي أبو حامد. دار المعرفة. بيروت

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. محمد بن محمد العمادي أبو السعود. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٤. تفسير القرآن العظيم . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ ٧٠٠ -٧٧٤ هـ ].تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع

٥. تهذيب سيرة ابن هشام – عبد السلام هارون .

٦. جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر

٧. الجامع الصحيح المختصر. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

٨. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت

٩. الجامع الصحيح. سنن الترمذي . محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي دار إحياء التراث العربي – بيروت.تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٠. دلائل النبوة ـ للبيهقى ت:د: عبد المعطى قلعجى. دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث

١١. الزواجر عن اقتراف الكبائر.ابن حجر الهيثمي. ت: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.المكتبة العصرية. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. بيروت

١٢. سنن ابن ماجة . محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني . دار الفكر – بيروت. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

١٣. سيرة ابن إسحاق .محمد بن إسحاق بن يسار.ت: محمد حميد الله. معهد الدراسات والأبحاث للتعريف

١٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤ -١٩٩٣ تحقيق : شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى.١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م
١٥. الفوائد . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . دار الكتب العلمية – بيروت ط٢ ، ١٣٩٣ .
١٦. القاموس الفقهي .سعدي أبو جيب.دار الفكر. دمشق . الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
١٧. الكبائر..محمد بن عثمان الذهبي. دار الندوة الجديدة – بيروت
١٨. لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.دار صادر – بيروت.الطبعة الأولى.
١٩. المبسوط. السرخسي. نشر محمد أفندي المغربي.
٢٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله.دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣.
٢١. مسند الإمام أحمد بن حنبل . مؤسسة قرطبة – القاهرة.
٢٢. معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي . حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع.الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٢٣. معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا.ت: عبد السلام محمد هارون.
الناشر : دار الفكر.الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م:ط الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٢٤. النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري.المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.